الفصل الثانى
العلامة مبشر الطرازى (*)
الداعية الأديب والزعيم المجاهد

● رجل مبارك تمثل حياته ونشاطاته للدين والحياة والأدب الإسلامى أنموذجا نادرا لوحدة أمة الإسلام ومتانة ما يربط بين شعوبها من وشائج الدين والأخلاق والأحاسيس والمصير .. إنه سماحة العلامة مبشر الطرازى الحسينى رحمه الله المولود فى مدينة طراز من أعمال تركستان «١٨٩٦ م» والمتوفى فى القاهرة «١٩٧٧ م» وبين صفحتى الميلاد والوفاة كتاب حياة الرجل الحافل بالعلم والفقه والتبليغ الإسلامى والجهاد فى سبيل الله والدفاع عن وطنه تركستان فى مواجهة الاحتلال الروسى القيصرى والبلشفى الشيوعى من بعده ثم هجرته إلى أفغانستان ومصر فى سبيل الله لمواصلة الجهاد ضد المستعمر وتوعية المسلمين بالأخطار التى تحدق بهم ودعوة الأمة الإسلامية للاتحاد والتضامن عملا بقول الله تعالى : ﴿ **واعْتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وكل ذلك بالكلمة الطيبة والنصح الجميل لأئمة المسلمين وعامتهم والقدوة الحسنة والنظر الثاقب والفقه المتجدد والتربية الروحية وببيان عربى وفارسى وتركى بليغ ورائع وجميل.

● ولقد أحببت العلامة الطرازى دون أن ألقاه وأعجبت به دون أن أراه وأول ما شدنى إليه كتابه « كشف اللثام عن رباعيات الخيام » الذى كتبه بالعربية وطبع غير طبعة فى مصر والذى يشتمل على فكرة جديدة تهدم ما استقر فى

(*) شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تُحرر هذه الدراسة وتنشر فى (أخبار الخليج) البحرينية مع تفكك الإتحاد السوفيتى وسقوط الشيوعية واستقلال جمهوريات تركستان الغربية فكان ذلك كرامة لجهاد الرجل ضد الروس القياصرة والبلاشفة من بعدهم الذين احتلوا بلاده تركستان وارتكبوا فيها أفحش الجرائم التى ترتكب ضد الشعوب.

ذهن الأدباء من أن الشعر الذى يعرف برباعيات الخيام هو للحكيم والعالم الرياضى الفلكى عمر بن إبراهيم الخيام النيسابورى وينفى ذلك بأسلوب الدارس المحقق والباحث الموضوعى المتمعن وينتهى إلى نفى شعر الرباعيات وبخاصة ما يشتمل على الكفريات والاستهتار بالنبوة والأنبياء والدعوة إلى احتساء الخمر ومصاحبة الحسان وتمضية الوقت فى المتع والملذات . . ويرى أن ما يمكن تأويل رموزه على طريقة المتصوفة أو ما اشتمل على بعض الفلسفات فى النظر إلى الكون والحياة والجنوح إلى التشاؤم والجبرية رباعيات لا يمكن توثيق نسبتها إلى الخيام تاريخيا بصورة جازمة.

● ونفى الطرازى بأسلوب الباحثين الكبار نسبة الرباعيات بعوامل كثيرة منها سيرة الخيام وثقافته وما نقله عنه معاصروه وتلاميذه وبيئته ومكانته والتضارب فى عدد الرباعيات، وأرجع ذلك الافتراء إلى نوعين من أعداء الأمة والدين: الأول من بين الفرق المنحرفة التى تعيش فى المجتمعات الإسلامية والثانى من خارج المجتمع الإسلامى ويتمثل فى المستشرقين وعلى رأسهم الشاعر الإنجليزى « فيتزجرالد » وكان لكاتب هذه السطور مساهمة فى التعريف بذلك الجهد العظيم للعلامة الطرازى بخصوص رباعيات الخيام وإضافة ما استحدث فى الأوساط الأدبية والثقافية بخصوص تلك الرباعيات ومن ذلك اكتشاف زيف النسخة الأصلية لرباعيات الخيام والتى كانت مرجعا أساسيا للباحثين عن الخيام وفلسفته فى الحياة وكانت تلك النسخة موجودة بمكتبة بودلين بجامعة اكسفورد فضلا عن إجماع كثير من الدارسين بقسم اللغات الشرقية فى الجامعات المصرية على أن الخيام لا يعد من بين شعراء الفرس كالشيرازى وجلال الدين الرومى وأن شهرة الخيام جاءت عن طريق الغرب بواسطة الشاعر الانجليزى فيتزجرالد وأشاع الغرب ذلك أيام الاستعمار العسكرى لأغلب الأقطار الإسلامية لأهداف سياسية خبيثة ومعروف أن أقدم نسخة لها يسمى برباعيات الخيام مؤرخة بعد وفاته بثلاثة قرون ونصف

وتشتمل على ثمان وخمسين ومائة رباعية ومعروف أنه كلما بعدت الوثيقة من حياة صاحبها ووفاته ضعفت الثقة بها وصارت الأشعار المعروفة برباعيات الخيام بعد كتاب العلامة الطرازى «كشف اللثام عن رباعيات الخيام» تذكر علميا فى الأوساط الأدبية الملتزمة بأصول الدرس الأدبى وتعرف برباعيات الخيام المنسوبة إلى الخيام ودفع الطرازى - الذى يجيد الفارسية وينشئ بأسلوبها الدُّرى الكتب والمنظومات - دفع عن عمر الخيام ما لحقه من زور وبهتان ونقى صفحته وأنصف تاريخه وسيرته.

ولقد كان حسنًا أن يقيم قسم اللغة الفارسية بجامعة عين شمس المصرية ندوة سنوية يحتفى خلالها بذكرى عالم إسلامى عبقرى ممن حملوا هموم أمتهم الإسلامية ولهم آثار منشورة وبديعة فى حقل اللغة الفارسية ومن ثم كان اتجاه قسم اللغة الفارسية مع بداية العام الجامعى «١٩٨٦ - ١٩٨٧م» إلى عقد تلك الندوة العلمية كل عام تنشيطا للإسهام الفكرى للقسم كما قال الدكتور بديع محمد جمعة مقرر الندوة المذكورة «قرر مجلس القسم أن تحمل كل ندوة اسم علم من أعلام الثقافة الشرقية الإسلامية تمجيدا لهؤلاء الأعلام وإبرازا لدور كل منهم فى إثراء الحركة الفكرية الإسلامية وليجد فيهم أبناء الجيل الجديد القدوة الحسنة التى يجب أن تحتذى».

يقول السيد مقرر الندوة «ثم وقع اختيار المشرفين على عقد الندوة على اسم العلامة مبشر الطرازى ليكون علما على ندوة القسم الأول التى تقرر لها أن تعقد فى الفترة ما بين الثالث والعشرين والخامس والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٧٨ م ويرجع هذا الاختيار إلى كون العلامة الطرازى قد كتب باللغات الإسلامية الثلاث العربية والفارسية والتركية كما أن الفقيد قد أفنى عمره كله دفاعا عن الحمية الإسلامية ونشر الدعوة الإسلامية سواء فى موطنه الأصلى بالتركستان أو فى البلاد الإسلامية التى تنقل للعيش فيها ومنها أفغانستان ومصر.

● **مؤلفاته :**

ومؤلفات العلامة الطرازى وآثاره العلمية والأدبية والصحفية ونشاطاته فى حقل الدعوة والتربية أكثر من أن تحصى ويوجز السيد نصر الله مبشر الطرازى مؤلفات والده وآثاره بقوله : « وللعلامة الطرازى أثران باللغة التركية تمت مصادرتهما من قبل الحكومة الشيوعية فى تركستان وأحد عشر أثرا فارسيا وعشرون كتابا باللغة العربية تم طبعها ونشرها والحمد لله وتسع محاضرات فى مواضيع علاوة على ديوانه « أزهار حديقة الحياة » الذى يضم أشعارا عربية وفارسية وتركية ومئات من المقالات باللغات الثلاثة الإسلامية المنشورة فى الصحف التركستانية والأفغانية والعربية والباكستانية وفى مجلة (المخبر الياباني) التى كانت تصدر عن الجمعية الإسلامية بطوكيو وبعض مؤلفاته الفارسية ترجم إلى العربية والتركية واليابانية » .

ـ والوقوف أمام مؤلفات العلامة الطرازى يحتاج إلى مقالات ومقالات وحسبنا الإشارة إلى أبرزها كتابه القيم « إلى الدين الفطرى الأبدى » وهو كتاب يعرض فى أسلوب سهل مزايا الإسلام باعتباره دين الله لجميع أنبيائه ورسله « إن الدين عند الله الإسلام » ويقدم خلاله دراسة مقارنة لمبادئ الإسلام مع الديانات الأخرى المحرفة ويستعين فى إثبات ذلك ببيان عربى واضح ورصين باسطا أفكاره مؤيدة بالأدلة العقلية والنقلية وآراء المفكرين المسلمين والأوروبيين .

ـ وله بالفارسية كتاب « الجندية فى الإسلام » وبالعربية كتابه « إلى الجندية أيها العرب » وله فى موضوع المرأة بالفارسية كتابه « المرأة فى الإسلام » وتناول العلامة الطرازى موضوع المرأة وحقوقها فى الإسلام فى كتابه بالفارسية والعربية المشار إليهما آنفا بفقه واسع وإلمام بقواعد الاجتهاد وأصوله وجرأة فى تناول القضايا المعاصرة التى تتعلق بالمرأة تضعه فى مصاف المجتهدين .

وللطرازى قريحة شعرية متقدة ويبدو ذلك واضحا جليا فى أشعاره بالعربية والفارسية والتركية وبخاصة مثنويه والذى يحوى أكثر من أربعة آلاف بيت من

بحر الرمل وقبل التعريف بمثنوى الطرازى المنظوم باللغة الفارسية لا بد من نبذة عن جهاد العلامة الطرازى فى طلب العلم ومقاومة الاحتلال الروسى لبلاده التركستان وهجرته بعد ذلك إلى أفغانستان ومقامه بها واستقراره بمصر فرارا بدينه من مطاردة الشيوعيين متحرفا لقتالهم من مواقع أخرى وبأساليب جديدة.

ولقد حكى لى السيد نصر الله الطرازى أن والده ينحدر من أسرة ذات فضل ومكانة فى الدين والعلم والزعامة فقد كان والده العلامة سماحة الشيخ محمد خان بن محمد غازى خان الحسينى مرجع المسلمين فى تركستان فى الفقة الإسلامى وعلما من أعلام العلوم العربية والآداب الشرقية وكانت ولادته فى السابع والعشرين من رجب سنة ١٣١٤ هـ الموافق للعشرين من ديسمبر سنة ١٨٩٦م من أم يصل نسلها إلى آخر امراء تركستان الشرقية الأمير السيد بزرك خان وقد أتم تعليمه الابتدائى بمدينة طراز مسقط رأسه تحت رعاية والده وعلى يد أساتذة ومؤدبين خصوصيين ثم أتم تعليمه الثانوى والعالى بطشقند فى جامعة أبى القاسم خان ثم سافر إلى بخارى حيث أتم دراسته العليا فى جامعة بخارى المعروفة فى العالم الإسلامى سنة ١٩١٧م وتخصص فى الأدب العربى وعلوم التفسير والفقه ونال إجازة التخصص فى الحديث على يد أستاذه الشيخ محمد العسلى الشامى رئيس بعثة التبليغ الإسلامى من قبل السلطان عبد الحميد خان فى الشرق الأقصى.

– يحكى الطرازى قصة لقائه بالشاعر الإسلامى محمد إقبال ضمن أربعة وعشرين بيتا وفيها يسأل العلامة إقبال العلامة الطرازى فيقول «إن السلف لم يكونوا يخافون من الموت أما المسلمون الآن فيخافونه ... فما السبب فى ذلك؟» فيرد الطرازى بأن ذلك يرجع إلى قوة الإيمان وضعفه لأن السلف كانوا أقوياء فى إيمانهم بالله ورسوله وبالشريعة الإسلامية أما الآن فقد أصيبوا بشئ من ضعف الإيمان نتيجة بعدهم عن التعاليم الإسلامية وتقليدهم للغرب فى الفكر والعمل

وقد التقى الطرازى بالعلامة محمد إقبال فى مناسبتين . . . الأولى عندما زار إقبال أفغانستان فى وفد من علماء الهند بدعوة من الملك محمد نادر شاه فى أوائل الثلاثينات والثانية كانت عند سفر الطرازى للعلاج بالهند حيث دعاه العلامة إقبال ليحاضر فى « وجوب الاتحاد الإسلامى » فى المجلس السنوى بجمعية (حماية الإسلام) بلاهور .

وفي مصر التى أمها متوجها من بشاور فى سبتمبر سنة ١٩٤٩م حيث رحبت به مصر أرض الكنانة حكومة وشعبا باعتبارها قبلة الأحرار وملتقى المجاهدين ومعقد الرجاء للمظلومين والمضطهدين من أبناء العرب والمسلمين ومنحته مصر حق اللجوء السياسى ولحق به أولاده وأسرته فى يناير سنة ١٩٥٠ م حيث التحقوا بالمدارس والجامعات المصرية وأقاموا بها معززين مكرمين .

وبعد حياة حافلة بالدرس والفقه والأدب والتوجيه الإسلامى والتربية والتعليم والتبليغ الإسلامى والدعوة إلى الشريعة الإسلامية والجهاد فى سبيل الحق يسترد الخالق وديعته وترجع نفسه مستجيبة لنداء ربها راضية مرضية صباح يوم الثلاثاء الرابع من ربيع الأول سنة ١٣٩٧هـ الموافق سنة ١٩٧٧م وتودعه مصر شعبا وحكومة فى موكب سار فيه العلماء والأدباء والدعاة ويصلى عليه شيخ الجامع الأزهر الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله ويدفن بمقابر آل الطرازى بجبل المقطم بالقاهرة .

رحمة الله عليه ورضى الله عنه وجزاه عن أهله ودينه وأمته خير الجزاء .

* * *

الفصل الثالث
خطاب الشاعر الدكتور محمد إقبال
لأمة العرب (*)

● العلامة الدكتور إقبال الملقب بشاعر الإسلام رجل عبقرى لا يكاد يشبهه أحد من أفذاذ أمة التوجيد فى عصرنا الحديث. إذ أن ما تمتع به من قدرات ومواهب وما اضطلع به من مهام لخدمة قضية المسلمين فى شبه القارة الهندية بخاصة وقضايا المسلمين فى العالم الإسلامى الكبير بعامة بوأته منزلة يغبطه عليها رجالات الأمة وأفذاذها، وقد غلبت شهرته كشاعر على شهرته كفيلسوف ورجل دولة وقانون لما تميز به شعره من سمو المعنى وقوة العاطفة فقد قَصَرَ شعره - أو كاد - على قضية نهضة المسلمين وقوتهم ليستردوا حقوقهم وليضطلعوا بدورهم فى هداية البشرية التى أعمتها الأطماع المادية عن قيم الحق والعدل والحب والأخذ بيد المستضعفين ونصرة المظلومين، ولما تميز به شعر إقبال أيضا من قوة التأثير فى النفس لما اشتمل عليه من قوة العاطفة وصدق النية وسلامة الطوية، ولما ضمنه إقبال من عميق الفكرة وثاقب النظرة وجمال الصوغ وروعة الخيال.

لذا لم يكن غريبا أن يلقبه شيخ القارة الهندية الأديب الإسلامى الكبير مولانا أبو الحسن الندوى بشاعر الطموح والحب والإيمان، كما لقبه العلامة الدكتور زكى على - رحمه الله - الأديب الإسلامى المهاجر والمقيم فى جنيف بشاعر الحكماء وحكيم الشعراء، فإقبال - رحمه الله - شاعر بين الفلاسفة وفيلسوف بين الشعراء وهو رجل دولة وقانون عند الساسة وأهل الحكم، لكن أهم ما يلفت النظر فى شخص إقبال وعبقريته هى تلك القدرة على استشراف

(*) صحيفة (أخبار الخليج) البحرينية فى يوم الجمعة (١٢/١١/١٩٩٣م).

آفاق المستقبل والتحذير من الأخطار والأخطاء فى مسيرة الأمة العربية والإسلامية وكأنه كان يقرأ الغيب، وليس ذلك بمستغرب على العبد المؤمن المفكر الذى من الله – تعالى – عليه بمثل تلك القدرات الفذة وتلكم الطاقات الإبداعية فنظر إلى المستقبل بنور الله وتحقق فيه ما ورد فى معنى الحديث الشريف «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».

ولا شك أن وراء عبقرية إقبال المؤمنة وشاعريته المحركة لطاقات البعث والنهضة واليقظة بيئة صالحة وتربية نبيلة وتعليم ناجح وثقافة موسوعية جمعت فى مزيج عبقرى حكمة الشرق والغرب وحملت لواء الإصلاح والتجديد على طريق الإسلام ونور القرآن وهدى النبى المصطفى العدنان المثل الأعلى للإنسان الكامل والسلف الصالح من القادة المتخرجين فى مدرسة النبوة والتابعين بإحسان والصالحين.

● ولد إقبال فى مدينة سيالكوت فى إقليم البنجاب فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ١٢٨٩ هـ الموافق التاسع من نوفمبر سنة ١٨٧٧ م لوالد صالح فى أسرة تنحدر من سلالة البراهمة الهنود وهى الطبقة الأعلى فى مجتمع الهنود القديم والتى كانوا يزعمون أنها تتصل بالآلهة وتمثل طبقة الصفوة. وقبل ثلاثمائة عام من مولد شاعرنا الحكيم أسلم جده الأعلى على يد رجل صالح من العباد الصالحين فانتشر الإسلام بين هذه الأسرة البرهمية التى كانت تعبد الأوثان فى مجتمع طبقى، وما لبث التوحيد ونور النبى – محمد – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – أن خالط شغاف قلوب أفراد أسرته حتى بلغ قلب شاعرنا العبقرى محمد إقبال، ويحكى الدكتور عبد الله مبشر الطرازى أن والد إقبال رأى فيما يرى النائم، رأى حمامة بيضاء ناصعة تقع فى حجره وتسكن إليه وفسرت له الرؤيا أنه سيرزق ابنا عظيم الجد والإقبال، فكان الطفل المبارك هدية السماء ورحمة الله إلى أمته الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد إقبال.

● تلقى إقبال تعليمه الأول فى مكتب تحفيظ القرآن حيث حفظ القرآن الكريم والتحق بالمدرسة الابتدائية والثانوية ببلدته، وجاز امتحان الثانوية بامتياز وتعلم اللغتين العربية والفارسية ثم أتم دراسته بالكلية الحكومية بلاهور عاصمة البنجاب وتفوق فيها وبز أقرانه، وتخرج فى الكلية الحكومية بامتياز فعين مدرسا للتاريخ والفلسفة والسياسة فى الكلية الشرقية بلاهور ثم أستاذا للغة الانجليزية والفلسفة فى الكلية الحكومية ولما أنس فيه أساتذته البراعة والدقة أرسلته وزارة المعارف إلى لندن سنة ١٩٠٥م حيث التحق بجامعة (كامبردج) وحصل على درجة علمية فى الفلسفة وعلم الاقتصاد ثم رحل إلى جامعة ميونخ بألمانيا حيث حصل على الدكتوراه فى الفلسفة وما لبث أن عاد إلى لندن ليحضر الامتحان النهائى فى الحقوق فيحصل على درجة علمية فى الحقوق.

● وإبان فترة إقامته فى لندن حاضر عن الإسلام كثيرا وساهم بجهد كبير فى الدعوة إليه والتعريف به مما أكسبه ثقة وشهرة واسعتين وانتفع بتلك الفترة التى قضاها فى أوروبا أيما انتفاع، فأكب على دراسة الفلسفة الغربية وفكر الفلاسفة الغربيين أمثال هيجل ونيتشه وشوبنهاور وقام بمقارنات أفكارهم وأفكار الفلاسفة المسلمين أمثال ابن رشد وابن سينا وغيرهما، وعمل فترة أستاذا فى جامعة لندن لتعليم اللغة العربية وذاع صيته وطبقت شهرته الآفاق فى بلاد المشرق فى دار الإسلام وبلاد الغرب حيث الحضارة الأوروبية، ولكن يبقى التأثير الأكبر فى عقل وعاطفة إقبال مرجعه إلى النشأة الأولى.

– يحكى إقبال فى ديوانه (أسرار خُودى) أى « أسرار الذات » فيقول: « وقع على بابنا سائل وقوع القضاء، ورفع صوته كأنه نعيب غراب، وأخذ يهز الباب! .. ولما آلمنى تصايحه وإلحاحه، خرجت إليه فهويت على رأسه بضربة بعثرت ما بيده مما جمعه طوال يومه، فلما رأى والدى تلك الحادثة اصفر وجهه الأحمر وانحدرت الدموع نهرا على خديه وقال: « تذكر يا بنى جلال المحشر !! يوم تجتمع أمة خير البشر، وارجع البصر كرة إلى لحيتى البيضاء!!

ونحول جسمى المرتعش بين الخوف والرجاء!!

كن يا بنى من البراعم فى غصن (محمد)! وكن زهرة يحييها نسيمُ ربيع (المصطفى)!!

– ويحكى إقبال عن طفولته أيضا فى الإشارة إلى حسن تربية والده له وتنشئته على مأدبة القرآن الكريم فيقول: « .. تعمدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان أبى يرانى فيسألنى ماذا أصنع؟ فأجيبه بأنى أقرأ القرآن، وظل على ذلك ثلاثة أعوام متتالية، يسألنى سؤاله فأجيبه جوابى، وذات يوم قلت له: ما بالك يا أبى تسألنى نفس السؤال وأجيبك جوابا واحدا ثم لا يمنعك ذلك من إعادة السؤال من غد؟ فقال: إنما أردت أن أقول لك: يا ولدى اقرأ القرآن كأنما نزل عليك، ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه فكان من أنواره ما اقتبست ومن درره ما نظمت ».

● وبين وفاة إقبال عام ١٩٣٨م قبل ميلاد حلمه فى إقامة دولة باكستان التى دعا إليها ووضع فكرتها وأسسها العَقَدية ورسم حدودها وجغرافيتها فى خطابه فى الاحتفال السنوى لحزب الرابطة الإسلامية فى مدينة إله أباد فى ديسمبر سنة ١٩٣٠م وبين مولده فى التاسع من نوفمبر سنة ١٨٧٧م عطاء عبقرى وإنجازات عظيم ملهم وحكيم موهوب لا تتسع لها تلك المدة القصيرة فى حساب الزمن لولا ما أفاض الله – تعالى – به على شخصية إقبال من هداية العطاء وعطاء الهداية والتوفيق.

● وبرغم وفاة إقبال منذ نحو ما يربو على ستين عاما إلا أن آراءه وأفكاره وخطاباته إلى أمته على المستوى الإقليمى والعربى والإسلامى لا تزال نافذة ومؤثرة وكأنه يعيش بين ظهرانينا، برغم انقضاء سنوات الدعوة إلى التحرر والاستقلال عن المستعمرين ومرحلة الاستقلال السياسى لأوطاننا العربية والإسلامية بعامة ومراحل الصراع مع الغرب لإقامة وطن لليهود الصهاينة وحتى أسلو وما بعدها (اتفاق غزة – أريحا – أولا) برغم ذلك يبقى خطاب إقبال حيا

ماثلا لكل الأحرار أن انهضوا تحت راية القرآن ووحدوا طاقات الأمة الإسلامية واستوعبوا حضارة العصر وثقافته وكونوا على مستوى التحدي . . لا تيأسوا لا تضعفوا وكأني به يردد قول الله – تعالى – ﴿ **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٩ – ١٤٠] وكأني به يتأمل أحوال العرب وما وصلت إليه عندما لم تأخذ بنصحه مرددا قول الشاعر الجاهلي:

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحا الغد

– يقول إقبال في خطابه للعرب: إن حكمة الغرب قد أسرت الأمم وتركتهم سليبة حزينة لا تملك شيئا، إنها مزقت وحدة العرب، واقتسمت تراثهم، إن العرب لما وقعوا في حبائلهم تنكر لهم كل شئ وقسا عليهم الكون، ولم يجدوا من يرثى لهم ويرفق بهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم».

– ويلح إقبال في خطابه للعرب ليستنهض هممهم مذكرا بدورهم فيقول موجها خطابه للعرب: أيها العرب قد مَنَّ الله عليكم إذ جعلكم مثل السيف البتار أو أحدَّ منه كنتم فيما قبل ترعون الإبل في الصحراء، تركبون عليها، وتظعنون بها، ثم انعكست الآية فيسخر الله لكم المقادير، فضلا عن الإبل فأصبحتم من مالكي أعنتها، فلو أقسمتم على الله لأبركم وهنالك دوت تكبيراتكم وصلواتكم، وزمزت حلبة حروبكم ومغازيكم بين الخافقين فارتج ما بين الشرق والغرب فما أحسن تلك المغامرات وما أجمل تلك الغزوات».

– ويمضي إقبال في استنهاض همم العرب لليقظة والنهوض فيقول مخاطبا العرب: «إن الله قد رزقكم البصيرة ولا تزال فيكم الشرارة كامنة، فقوموا أيها العرب وردوا فيكم روح عمر بن الخطاب مرة أخرى، إن منبع القوة ومصدرها هو الدين منه يستمد المؤمن العزم والإخلاص واليقين، وما دامت ضمائركم أمينة

للسر الإلهى، فيا عُمَّار البادية أنتم الحراس للدين، إن غريزتكم العربية الإسلامية ميزان للخير والشر، وأنتم ورثة الأرض، إذا تألق نجمكم فى آفاق السماء أفلت نجوم الآخرين وطُويَ بساطهم، لن تسعكم الصحراء والفيافى، فاضربوا خيمتكم فى وجودكم الذاتى الذى يسع الآفاق». ولكن يبقى الأمل فى رحمة الله لهذه الأمة التى يأبى الله إلا أن تكون خير أمة أخرجت للناس، وتبقى المؤملة لقيادة البشرية نحو حضارة العلم والإيمان، تلك الحضارة التى تحلق بجناحين لتحقيق خلافة الإنسان لربه فى تعمير الكون وبناء حضارة الإنسان المؤمن وتحقيق إنسانية الإنسان الكامل فى توازن وانسجام وسلام بين الإنسان ومخلوقات الله وعناصر البيئة على ظهر هذه البسيطة ونردد فى ختام هذه المقالة مقولة إقبال التى تنم عن حكمته وتبشر بالأمل حيث يقول: «إذا رأيت النجوم شاحبة منكدرة فاعلم أن الفجر قريب» رحم الله إقبال وتقبله فى الصالحين.

* * *